Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصد الغرب وتأثر به تأثرًا شديداً. ففيه من الشرق أشياء ومن الغرب أشياء أخرى. ولو أن جذوره وروحه جذور شرقية وروح شرقية.

«عصفور من الشرق» هكذا نعت نفسه سنة ١٩٣٨، وقد قال لى مرة: إن الشرق الذى قصده هنا ليس الشرق الأقصى، أو أى شرق آخر، بل الشرق العربى وحده دون سواه. وأيّا كان الرأى فى هذا التفسير الذى قد لا يوافق عليه كثيرون، إذ إن العرب لم يكونوا واردين فى حساباته فى تلك الفترة، أو أنهم لم يردوا يومًا فى هذه الحسابات، إلا أن توفيق الحكيم فى «عصفور من الشرق» عبر عن معاناة الفتى المصرى، وكل فتى عربى أو شرقى، فى مجتمعات الغرب وأنماط سلوكه وحضارته.

وقد ساهمت كتب كثيرة له فى توليد وعى وطنى وقومى، مثل كتابه «عودة الروح» الذى يُعدّ كتابًا تنويريًا وتحريضيًا من طراز رفيع. وقد ذكر الرئيس جمال عبد الناصر مرة أن رواية «عودة الروح» كانت من الروايات التى أثّرت فى فكره السياسى وهو يعدّ لثورة يوليو عام ١٩٥٢.

نشأ توفيق الحكيم فى أسرة تتكون من أب مصرى من سلالة فلاحين مصريين على شىء من الثراء، ومن أم كانت أسرتها من أهل البحر، ممن أطلق عليهم اسم «البوغازية». ويظهر أن أهل هذه الأسرة من الترك أو الفرس أو الألبان، كما يقول فى «سجن العمر»، ويضيف: «لا أدرى بالضبط، ولكن سحنة والدتى وجدتى وما لهما من عيون زرقاء تنم عن أصل غريب على كل حال. ولم أرث أنا ولا شقيقى هذه الزرقة ولا ما يقرب منها، لأن سحنة والدى الفلاح القح كانت فيما يبدو قديرة على صبغ بحر أزرق بأكمله». وكان والده «نائبًا» فى المحاكم المصرية وقد عمل طويلاً فى ريف مصر. ويروى عبد العزيز فهمى باشا الذى خلفه توفيق الحكيم فى عضوية المجمع اللغوى، أن والد الحكيم كان مثله صاحب «تواليف»، وأنه جرب يومًا صنع سجائر من «السعتر الجاف» ومن أعشاب أخرى. والحكيم يقول: إن والده لم يكن بخيلاً مثله، وإنما كان فقيراً، كما كان صاحب نكتة، إذ يقول عنه: إن آخر كلمة فاه بها وهو على فراشه فى المستشفى حى ما قاله لممرضة يهودية كانت عنده فى الغرفة عندما رأى على الحائط تمثالاً صغيراً من الخشب للسيد المسيح وهو مصلوب: «إيه رأيك مش أنتم اللى قلتم اصلبوه؟» فضحكت الممرضة اليهودية ثم استدارت تملأ له كوب الماء. ولما عادت لتسقيه وجدت رأسه قد انحدر من فوق الوسادة. لقد فارق الحياة.